أهل الكتاب وموقفهم

من

نبي الإسلام {محمد ﷺ}

للدكتور

فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

استاذ ورئيس قسم العقيدة ومقارنة الأديان

بكلية اصول الدين والدعوة الإسلامية

بطنطا

الطبعة الثانية

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهذا بحث عن موقف أهل الكتاب من اليهود والنصارى من نبي الإسلام محمد ﷺ – هدفت من خلاله – أن أبين المواقف المتعصبة لأهل الكتاب من نبوة الرسول ﷺ خاصة وأن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ يجعل من شروط الإيمان – الإيمان بأنبياء الله الكرام جميعهم – لا نفرق بين أحد من رسله .

وقد التزمت المنهج الإسلامي في عرض شبهتهم بلا زيادة ولا نقصان ثم الرد عليها ، وبينت أنه لا وجه لهم في إنكار نبي الإسلام خاصة وأن كتبهم السابقة بشرت به ، وتكلم أحبار اليهود وعلماء النصارى عن قرب بعثته قبل أن يبعث فبينت ترقب اليهود لبعثته في المدينة بناء على ما ورد في أسفارهم مثل سفر التثنية الإصحاح الثامن عشر ، وأن البشارة في هذا السفر واضحة جداً في حق محمد ﷺ .

وكذلك بينت ترقب بعض النصارى لبعثته ﷺ مثل ورقة بن نوفل ،

ثم بينت الأسباب العامة التي اشترك فيها اليهود والنصارى والتي دعتهم لإنكار نبوته والتي منها : حب الرياسة والجاه لتصورهم أن تصديقهم النبي سيسلب عنهم بعض المنافع التي يحصلون عليها ، ثم بينت الأسباب الخاصة بكل فريق على حدة ، والتي تمثلت عند اليهود في الحسد

وكراهية جبريل ﷺ والتي تمثلت أيضاً في ادعائهم أن شريعتهم لم تنسخ ، ففندت هذه الفِرْيَّة وأثبت بنصوص من عند اليهود والنصارى النسخ وأنه واقع في شريعتهم وإن احتجاجهم بعدم جواز النسخ الغرض منه الكفر بمحمد ﷺ وتمثل الإنكار عند النصارى في ادعاء ألوهية المسيح وأن تصديقهم للنبي ﷺ سيجعلهم يعتقدون في عبودية عيسى لله .. وأن هذا من الأسباب التي جعلت النصارى لا يؤمنون بمحمد ﷺ ، كما حدث من وفد نجران .

ثم ختمت بشبهات المستشرقين من اليهود والنصارى حول نبوة محمد ﷺ والشبهات التي أثاروها ورددت على تلك الشبهات ، بالعقل والنقل .

وأخيراً أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

فرج الله عبد الباري أبو عطا الله

أستاذ ورئيس قسم العقيدة ومقارنة الأديان

وضوح الحق لدى أهل الكتاب في شأن محمد :

إن المتتبع لأخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى قبل بعثة النبي ﷺ يـرى أنهـم كانوا ينتظرون مبعث محمد ﷺ ، بل إن منهم من ترك وطنه على ما فيه من خصب ونماء ورحل إلى جزيرة العرب ليكون على مقربة من المدينة المنورة التي علموا أن فيها هجرته وتفصيل ذلك كالآتي :

أولا : اليهود وترقبهم بعثة النبي ﷺ :

روى ابـن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : قال لي هل تدري عم كان إسلام ثعلبة بن سَعْيَّة وأسد بن سُعية وأسد ابـن عبـيد نفر من بني هذل أخو بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كـانوا ساداتهم في الإسلام . قال : قلت لا ؟ قال : فإن رجلاً من يهود من أهـل الشام يقال له : ابن الهيبان قَدِمَ علينا قبيل الإسلام بسنين فحل بين أظهرنا لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن " الهيبان " فاستسق لنا فيقول : لا والله حـتى تقدمـوا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له : كم ؟ فيقول : صـاعاً مـن تمر أو مدين من شعير . قال : فنخرجها ، ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي الله لنا فوالله ما يبرح محله حتى تمر السحابة وتُسقي، قـد فعـل ذلك غير مرة ، ولا مرتين ، ولا ثلاث قال : ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال : يا معشر يهود ما ترونه أخرجني مـن

أرض الحمر والخير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : إنك أعلم قال : فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يُبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تُسبقن إليه يا معشر اليهود فإنه يُبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري ، والدماء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه .

فلما بُعث رسول الله ﷺ وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً : يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى والله إنه لهو بصفته ، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم [١] .

فهذا النص يبين إلى أي مدى كان رسول الله ﷺ معروفاً قبل بعثته إلى الحد الذي يترك ابن الهيبان وطنه وأهله وهي بلاد مليئة بالخير كما يقول ويأتي إلى بلاد جرداء لا يحمله على ذلك إلا رجاء أن يكون قريباً من البلد التي سيهاجر إليها النبي ﷺ ، بل إن اليهود كانوا يستنصرون بالنبي ﷺ إذا تقاتلوا مع المشركين الذين لا كتاب لهم ولا علم عندهم .

فقد روى ابن هشام عن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا : مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لما كنا نسمع من رجال يهود . كنا أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون

---

(١) سيرة ابن هشام (١ / ٢١٩ ، ٢٢٠) .

فـــالوا لـــنا إنه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثـــيرا ما نسمع ذلك منهم . فلما بعث رسول الله ﷺ أجبناه حين دعانا إلى الله تعـــالى وعرفـــنا ما كان يتوعدوننا فبادرناهم إليه فآمنا به ، وكفروا به ففينا وفيهم نزلت تلك الآيات من سورة البقرة ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصـــدق لمـــا معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ [١] .

وفـــي روايـــة أخـــرى أن يهـــود كـــانوا يستفتحون على الأوس والخـــزرج برســـول الله ﷺ قـــبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم " معاذ بن جبل " و" بشر بن البراء " و" داود بن سلمة " : يا معشر اليهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفته فقال " ســـلام بن مشكم " أحد بني النضير : ما جاءنا بشئ نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم " [٢] فأنزل الله ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله** ﴾ .

وهـــناك كثـــير من الروايات [٣] أوردها كُتاب السيَّر عن معرفة اليهود بالنبي وانتظارهم له وكفانا يقيناً إخبار القرآن الكريم عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنهم كانوا يعرفون الرسول كما يعرفون أبناءهم .

---

(١) سورة البقرة الآية (٨٩) وانظر سيرة ابن هشام (١ / ٢١٨) ، ولباب المنقول في أسباب النزول (١٢ ، ١٣) .

(٢) انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢١٨) ولباب المنقول في أسباب النزول ص (١٢ ، ١٣) .

(٣) انظر ابن هشام (١ / ٢١٩ ، ٢٢٠) .

يقــول تعــالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [١] .

ويقــول ﷻ : ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ [٢] .

ويقول أستاذنا الدكتور / عبد الله الشاذلي :

" واللفظــتان ليســتا مترادفتين تمام المرادفة ولا يطلقان على جهه واحــدة بل تنصرف كلمة العلم إلى الحق الذي جاء به النبي ﷺ ومنبع هذا العلم هو الأخبار المقدسة وحدها ، وتطلق لفظ المعرفة على النبي وصفاته ومصــدر المعــرفة يرد عن طريق الوحي الحق ويرد عن طريق الرؤية والملاحظــة المســتمرة والتأكد من مطابقة الصفات المبثوثة في التوراة والإنجيل على ذات النبي صلوات الله وسلامه عليه وحده " [٣] .

وهــذا العلم وتلك المعرفة هما ما جعلا " عبد الله بن سلام " يقول لعمر بن الخطاب حين سأله أتعرف محمدا ﷺ كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر بعث الله أمينه في سمائه إلى أمينه في أرضه بنعته فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه .

ويعلق القرطبي على قوله تعالى ﴿ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾

---

[١] سورة البقرة الآية (١٤٦) .

[٢] سورة الأنعام الآية (٢٠) .

[٣] الدعوة والإنسان ص (٤١٥) .

بقوله " وخص الأبناء بالمعرفة بالذكر دون الأنفس وإن كانت ألصق لأن الإنسان يمر عليه من زمنه برهة لا يعرف فيها نفسه ولا يمر عليه وقت لا يعرف فيها ابنه " [١] .

وهو ملحظ دقيق من الإمام القرطبي .

وقد نشط علماء مقارنة الأديان فاستخرجوا البشارات التي وردت في العهد القديم ، والتي تُعلم اليهود بصفات محمد ﷺ كما قال سبحانه وتعالى ﴿ الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ﴾ [٢] أي باسمه ونعوته الشريفة بحيث لا يشكون أنه هو ، ولذلك عدل عن أن يقال : يجدون اسمه أو وصفه مكتوباً وجاء بلفظة عندهم لزيادة التقرير وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضرة عندهم لا يغيب أصلاً [٣] .

فقد ورد في سفر التثنية ما نصه :

" يقيم لك الرب إلهك نبياً ومن وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب في حوريب يوم الاجتماع قائلاً لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فيه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي

---

(١) القرطبي (٢ / ١٦٢ ، ١٦٣) والجلالين ص (٢٠) .

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٧) .

(٣) روح المعاني للألوسي (٩ / ٨٠) .

لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه أن يتكلم به ، والذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو كالكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه " [١] .

وهذا النص يدعى النصارى البروتستانت أنه بشارة بعيسى ﷺ ويدعي اليهود أنه بشارة بيوشع ، وليس الأمر كما يزعمون وإنما هو بشارة بالرسول ﷺ من عشرة وجوه [٢] هي :

الأول : أن اليهود المعاصرين لعيسى كانوا ينتظرون نبياً آخر مبشراً به غير عيسى ومن ثمَّ فلا يكون المبشر به "يشوع" ولا عيسى عليهما السلام .

الثاني : أنه وقع في هذه البشارة " مثلك " ويشوع" وعيسى" عليهما السلام لا يصح أن يكونا مثل موسى ﷺ للآتي :

أ – لأنهما من بني إسرائيل ولا يجوز أن يقوم أحد من بني إسرائيل مثل موسى وهذا ما يدل عليه ما ورد في سفر التثنية " ولم يقم بعد بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه " [٣] فإن قام أحد

---

(١) سفر التثنية ١٨ ـ ١٥ / ٢٣ .
(٢) اظهار الحق ص (٥٠٨) .
(٣) سفر التثنية ٣٤ ـ ١٠ .

في بني إسرائيل مثل موسى يلزم تكذيب ذلك النص .

ب – أنـــه لا مماثلـــة بين يشوع وبين موسى عليهما السلام ، لأن موســـى صاحب كتاب وشريعة ويشوع ليس معه كتاب وشريعة ، بل هو متـــبع لشـــريعة موسى ﷺ . كما لا توجد مماثلة بين موسى وعيسى لأن عيسى كان إلهاً ورباً على زعم النصارى ، وأن موسى كان عبداً له ، كما أن عيســـى ﷺ صُـــلب من أجل أمته ، كما يزعم النصارى ، وموسى لم يُصلب من أجل أمته ، وأن شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات وأحكام الغسل والطهارات والمحرمات بخلاف شريعة عيسى فإنها لا شئ فيها من ذلك ثم أن موسى كان رئيساً مطاعاً في قومه وعيسى ما كان ذلك

الثالـــث : أن هـــذه البشارة فيها لفظ " من بين إخوتهم " ولاشك أن الأســـباط الإثـــنى عشـــر كـــانوا موجودين في ذلك الوقت مع موسى ﷺ حاضرين عنده ، فلو كان المبشر به منهم لقال " منهم " لا من بين إخوتهم ويشوع وعيسى عليهما السلام كانا من بني إسرائيل فلا تصدق هذه البشارة عليهما .

الـــرابع : أنه وقع في هذه البشارة لفظ " سوف أقيم " ويشوع كان حاضراً عند موسى ﷺ داخلاً في بني إسرائيل نبياً في هذا الوقت ، فكيف يصدق عليه هذا اللفظ ؟

الخـــامس : أنه ورد في هذه البشارة لفظ " أجعل كلامي في فمه " وهـــو إشـــارة إلى النبي ﷺ الذي سينزل عليه القرآن وإلى أنه سيكون أمياً حافظاً للكلام وهذا لا يصدق على يشوع لانتفاء كلا الأمرين فيه .

السـادس : أنه قد ورد في هذه البشارة " ومن لم يطع كلامه الذي يـتكلم باسـمي فأنا أكون المنتقم من ذلك " وهذا الانتقام ليس مقصوداً منه العذاب الأخروي ، لأن كل الأنبياء سيعذب مخالفيهم في جهنم ولكن الانتقام يـراد به الانتقام التشريعي ، فظهر بهذا الكلام أن المبشر به يكون مأموراً مـن جانب الله بالانتقام من منكره ، وعيسى ليست لديه شريعة فيها أحكام الحدود والقصاص والجهاد .

السـابع : أنه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله مـا لم يأمره به يقتل فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً لكان قد قتل ، ومحمد لم يقـتل ولم يقدر عليه أحد حتى لحق بالرفيق الأعلى ، وعيسى قُتل وصُلب على زعم اليهود والنصارى ، فلو كان هو المقصود بتلك البشارة للزم أن يكون نبياً كاذباً كما يقول اليهود عليهم اللعنة .

الثامن : أن الله بيَّن علامة النبي الكاذب أن تكون أخباره عن الغيب ليست صادقة . والرسول ﷺ قد أخبر عن أمور غيبية ووقعت كما أخبر ﷺ فيكون صادقاً .

التاسـع : أن بطـرس قال " فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتـي أوقات الفرج من وجه الرب ويرسل يسوع المبشر به لكم قبل الذي ينبغـي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شئ التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر "[1] .

---

[1] أعمال الرسل ٣ : ٢٠ ، ٢٢ .

ومن تأمل عبارة بطرس ظهر له أن هذا القول يكفي لإبطال الزعم أن هذه البشارة في حق عيسى عليه السلام .

العاشر : أن علماء اليهود منهم من أسلم اعترافاً بمحمد ﷺ ، وكونه مبشراً به في التوراة [١] .

ثانياً : ترقب بعض النصارى بعثة الرسول ﷺ :

إذا كـنا قد أثبتنا من خلال الروايات المتعددة أن اليهود كان عندهم علـم بمبعث النبي ﷺ فإن النصارى أيضاً كانوا يعرفون صفاته ﷺ ، ولكن لابـد وأن نسـجل بدايـة أن عداوة النصارى للرسول ﷺ لم تكن كعداوة اليهود ، فالنصارى في الجزيرة العربية على الأقل لم يدخلوا في صراع حاد مع الإسلام والمسلمين كما فعل اليهود .

وهـم وإن خـالفوا الإسلام في عقائده ولم يدخلوا فيه إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا أقل صياحاً من اليهود وأقل حقداً على الرسول ﷺ ، وهم قـد اعترفوا بداية بأن محمداً على الحق وأنه النبي المنتظر الذي بشر به عيسـى وموسـى علـيهما السلام ، ووردت روايات متعددة تفيد معرفة النصارى بالرسول ﷺ ، نذكر من النصارى الذين بشروا بالنبي ﷺ :

(١) **ورقة بن نوفل :** وكان شيخاً نصرانياً يقيم في مكة عنده علم الكتاب وقد أخبرتـه خديجة بما حدث للرسول ﷺ في غار حراء فأخبرها

---

[١] انظر : إظهار الحق لرحمت الله الهندي ص (٥٠٨ – ٥١٣) بتصرف . وانظر : تعليق الدكتور أحمد حجازي السقا على كلام بطرس ص (٥١١) .

أنه النبي المنتظر .

ويذكر ابن إسحاق أن النبي أخبره أيضا .. يقول ابن إسحاق : فلما قضـــى رسول الله ﷺ جواره وانصرف صنع كما كان يصنع ، بدأ بالكعبة فطـــاف بها فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالكعبة فقال : يا ابن أخي أخبرنـــي بمـــا رأيت وسمعت . فأخبره رسول الله ﷺ فقال له ورقة والذي نفســي بـــيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه [١] ولئن أدركتُ ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه ثم أدنى رأسه منه فَقَبَلَ يافوخه [٢] ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله " [٣] .

" فورقة بن نوفل " من داخل الجزيرة العربية يبشر بمحمد ﷺ ، لأن صفاته كان قد عرفها من التوراة والإنجيل .

(٢) ونأتي إلى رجل آخر من خارج الجزيرة العربية ظل متنقلاً من مكان إلى مكان باحثاً عن الحق إلى أن دله بعض النصارى عليه ﷺ . هـــذا الـــرجل هـــو " سلمان الفارسي " ذلك أنه ترك دين آبائه من عبادة النار ، وظل يتنقل من مكان إلى مكان حتى انتهى به المطاف إلى نصراني دله على الجزيرة العربية التي سيبعث فيها رسول الله ﷺ .

يقول ابن هشام " فلما مات رغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته

---

[١] الهاءات الأربعة للسكت وليست ضمائر .

[٢] اليافوخ : وسط الرأس

[٣] سيرة ابن هشام (١ / ٢٤٦ – ٢٤٧) .

حـــبري فقال أقم عندي فأقمت عند حير رجل على هدى أصحابه وأمرهم قـــال : واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنمة ، قال : ثم نزل به أمر الله فلمـــا حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصي بي إلى فلان ثم أوصـــى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي ؟ وبم تأمرنـــي ؟ قال : أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا علـــيه من الناس آمرك به أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي وهو مبعوث بديـــن إبراهـــيم ﷺ يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى . يأكل الهديَّة ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل " [١] .

وهـــذا يدل على أن معرفة النصارى بالنبي ﷺ كانت مؤكدة وكانت معـــروفة بالتفاصـــيل الجزئية ، البلد التي يبعث فيها ، والبلد التي يهاجر إلـــيها ، وأشياء شخصية تمثلت في قبوله الهدية ورفضه الصدقة ، وأشياء خلْقيَّة منها خاتم النبوة بين كتفيه .

وقد اجتهد علماء الإسلام وأوضحوا تلك البشارات [٢] ، ومن تلك البشـــار ما ور ي يوحـ " إن كنتم ـ ـي فاحفظوا وصاياي وأنا أطلـــب مـــنكم مُعَـــزِّيًا آخـــر ليمكث معكم إلى الأبد " [٣] والمُعَزِّى يعني الفارقليط الذي يعني كثير الحمد

---

[١] سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٣) .

[٢] منها يوحنا ١٤ ، ١٥ / ١٨ ... ١٤ . ٢٣ : ٢٧ ، ١٦ - ١ ، متى ١١ - ١٤ ، ١٥ وغيرها كثير

[٣] يوحنا ١٤ - ١٥ ، ١٧

ومـــن العجيـــب أن الترجمات العربية القديمة للأناجيل كانت تذكر كلمـــة " الفارقلـــيط " ، ولقـــد أضـــاف النصارى تحريفاً جديداً يضم إلى الـــتحريفات السابقة ، انظر على سبيل المثال الترجمة العربية ١٨٢١ م ، ١٨٣١م ، ١٨٤٤م في لندن والتي كان ينقل منها صاحب إظهار الحق(١)

وقـــارن بين هذه الطبعات وبين طبعة الكتاب المقدس لعام ١٩٨٧م فـــإن كـــل الألفاظ التي فيها الفارقليط في طبعات لندن أُثبت بدلا من تلك الألفاظ كلمة " المُعَزِّى " ، وكلمة " المُعزِّىْ " لا تعبر بالضبط عن البشارة باسم النبي كما تعبر كلمة " الفارقليط " .

يقـــول الشـــيخ " الـــنجار " : إنه جمعته رابطة صداقة بالمستشرق الإيطالي " كارلونلينو " وفي ذات ليلة يقول : " قلت له وأنا أعلم أنه حاصل على شهادة الدكتوراة في آداب اللغة اليونانية القديمة ما معنى " بيريكلتوس " أجابني بقوله : إن القسس يقولون أن هذه الكلمة معناها " المعزى " فقلت (الشيخ النجار) إني أسأل الدكتور " كارلونيلنو" ولست أسأل قسيساً فقال معـــناها الـــذي له حمد كثير . فقلت : هل يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ قال : نعم . فقلت : إن رسول الله ﷺ من أسمائه أحمد ، فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيراً ، ثم افترقنا وقد ازددت تثبتاً في معنى قوله تعالى حكاية عن

---

(١) إظهار الحق ص (٥٣٨ ، ٥٣٩) تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا . دار التراث العربي ، وانظر : هداية الحيارى ص (١١٦) وما بعدها ، وانظر للأهمية كتاب اللواء أحمد عبد الوهاب : اختلافات في تراجم الكتاب المقدس . فقد أورد نماذج للاختلافات بين الترجمات المختلفة للكتاب المقدس وهي من وجهة نظرنا تنفي أدنى قدسية عن العهدين القديم و الجديد وتجعلنا نزداد ثقة بأن التحريف عند النصارى لم يتوقف أبداً .

المسيح ﴿ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ [١] وإن كان المفروض أن يزداد الإنسان تثبتاً وثقة كلما قرأ القرآن ، لا كلما سمع شيئاً من أهل الكتاب الذين قد يكذبون أو يصدقون .

وقد أورد علماء مقارنة الأديان قديماً وحديثاً بشارات الإنجيل برسول الله ﷺ ، وأورد صاحب إظهار الحق منها كثيراً نكتفي منها بواحدة فقط .

ونظراً لأن ترجمات العهدين الجديد والقديم قد تغيرتا كثيراً عن النسخة التي ينقل منها " رحمت الله الهندي " فإننا سنعتمد على نقله مشيرين إلى النسخة المترجمة التي كان ينقل عنها .

يقول : " نقل " يهوذا " الحواري في رسالته الخبر الذي تكلم به " أخنوخ " الرسول الذي كان سابعاً من آدم ﷺ ومن عروجه إلى ميلاد المسيح ثلاثة آلاف وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخهم وأنا أنقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤م يقول " الرب قد جاء في ربواته المقدسة ليدائن الجميع ويبكت الجميع المنافقين على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا فيها وعلى كل الكلام الصعب الذي تكلم به ضد الله الخطاة المنافقون " .

وينبه صاحب إظهار الحق قبل استخراج البشارة من النص السابق على معاني كلمات (رب – قديس ، ومقدس) في الأسفار المقدسة فالرب يشيع استعماله في معنى المعلم والمخدوم ولفظ القديس والمقدس يطلق في

---

[١] سورة الصف الآية (٦) وانظر قصص الأنبياء هامش ص (٤٧٣)

العهدين إطلاقاً شائعاً .

وبعـد أن يأتـي بشاهد من العهد الجديد على استخدام هذه الألفاظ يقـول : " إن المراد بالرب هنا محمد ﷺ ، وبالربوات المقدسة الصحابة ، والتعبير عن مجيئه (بقد) جاء لكونه أمراً يقينياً ، ولقد جاء محمد ﷺ في ربواتـه المقدسـة فدان الكفار وبكت المنافقين والخطاة على أعمال النفاق وعلى أقوالهم القبيحة في الله ورسله " (١) .

وهـناك بشـارة واضـحة ومشهورة يستدل بها كل علماء مقارنة الأديان تقريباً على البشارة بالنبي ﷺ وهي وإن كانت واردة في العهد القديم إلا أنهـا حجـة على النصارى ، لأن قدسية العهد القديم مثل قدسية العهد الجديد عندهم .

هـذه البشارة هي ما ورد في سفر التثنية : " جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم " (٢) .

فقولـه " فاران " هي جبال مكة ، لأنه ليس بين المسلمين وأهل الكـتاب خـلاف فـي ذلك ، فإن ادعى أحد أنها غير مكة فهذا من الإفك والتحريف .

ويسـتنبط " ابن تيمية " من دلالة الألفاظ التأكيد على رسالة سيدنا محمد ﷺ فيقول : " قال في الأول جاء أو ظهر ، وفي الثاني أشرق ، وفي

---

(١) انظر : إظهار الحق ص (٥٣١ – ٥٥١) .

(٢) سفر التثنية ٣٣ – ١ : ٣ .

الثالث استعلن ، كان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أما هو أظهر من ذلك ، ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس ازداد به النور والهدى ، وأما بنزول القرآن فهو مميز له ظهور الشمس في السماء ، ولهذا قال واستعلن من فاران ، فإن النبي ﷺ ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلنت في مشارق الأرض ومغاربها "[١] .

ومما يدل على البشارة بالنبي ﷺ في التوراة والإنجيل الآيات التي وردت لتؤكد أن علماء بني إسرائيل كانوا يعرفون مبعث محمد ﷺ .

يقول تعالى ﴿ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ﴾[٢] .

ويقول سبحانه ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾[٣] .

ويقول ﷻ ﴿ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾[٤].

وهذا يدل على أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ ، إما شهادتها

---

[١] الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ / ٣٠١ ، ٣٠٢) .

[٢] سورة الأنعام الآية (١١٤) .

[٣] سورة البقرة الآية (١٤٦) .

[٤] سورة المائدة الآية (٨٣) .

بثبوته وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات ونبوة من قبله وهو حجة على أهل الكتاب وغيرهم [١] .

والباحث يتساءل :

ما هي الأسباب التي جعلت اليهود والنصارى ينكرون نبوة محمد ﷺ بعد أن تبين لهم الحق وعلموا أنه النبي المنتظر ؟

لقد بدا للباحث أن هناك أسباباً عامة يشترك فيها اليهود والنصارى وتتمثل في :

١ – حب الرياسة والجاه .

٢ – ادعاء كل من اليهود والنصارى بعدم نسخ شريعتيهما بالإسلام .

وهناك أسباب خاصة بكل من اليهود والنصارى :

فبالنسبة لليهود تتمثل هذه الأسباب في :

أ – الحسد .

ب – كراهيتهم لجبريل عليه السلام .

ج – ادعاؤهم أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسول حتى ينزل عليهم قرباناً من السماء .

أما بالنسبة للنصارى ، فإن هناك سبباً جوهرياً جعلهم يرفضون نبوة الرسول ﷺ ، تمثل هذا السبب في تأكيد الرسول ﷺ على عبودية المسيح ، وما كان النصارى ليوافقوا على نبوة الرسول ﷺ وهو يرفض ألوهية المسيح ، وسنتحدث عن الأسباب العامة التي يشترك فيها اليهود والنصارى ثم نتبعها بالأسباب الخاصة بكل من اليهود والنصارى .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣ / ٢٩٩) .

أولاً : الأسباب العامة التي يشترك فيها اليهود والنصارى لإنكار نبوة محمد ﷺ

١ – حب الرياسة والجاه :

أ – عند اليهود :

مـــن الأسباب الرئيسة التي منعت اليهود من الإيمان بالنبي ﷺ حب الرياسة والجاه ، وقد وردت روايات متعددة اعترف فيها اليهود بأن محمداً علـــى الحـــق ولكن يمنعهم من الاعتراف به والإذعان له أنهم سيصيرون أتـــباعاً بعـــد أن كانوا متبوعين ، حدث هذا بين زعماء اليهود وذلك أن " بنـــي النضـــير " لما أُجلوا عن المدينة أقبل " عمرو بن سعدي " فأطاف بمـــنازلهم فـــرأى خـــرابها ففكر ثم رجع إلى " بني قريظة " فوجدهم في الكنيســـة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال " الزبير بن باطا " : يا أبا " سعيد" أيـــن كنت منذ اليوم فلم تزل ، وكان لا يفارق الكنيسة ؟ وكان عزيزاً في اليهودية قال : رأيت اليوم عبراً اعتبرنا بها رأيت إخواننا قد جلوا بعد ذلك العز والجاه ، والشرف الفاضل ، والعقل البارع ، قد تركوا أموالهم وملكها غـــيرهم وخـــرجوا خروج ذل ، لا والتوراة ما سُلط هذا على قوم قط لله بهـــم حاجـــة . وقد أوقع قبل ذلك بابن الأشرف ذي عزة بيّته في بيته آمناً وأوقـــع بابـــن ســـنينة سيدهم ، وأوقع ببني قينقاع فأجلاهم وهم أصل جد يهـــود ، وكـــانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فحصرهم فلم يخرج إنسان منهم رأســـه حـــتى سباهم فكُلم فيهم فتركهم على أن أجلاهم من يثرب يا قـــوم قد رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبع محمداً فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي قد

بشرنا به ويأمره " ابن الهيبان" أبو " عمير بن حراش " وهما أعلم يهود جاآتـا يتوكفان قدومه من بيت المقدس وأمرانا باتباعه وأمرانا أن نقرئه منهما السلام ثم ماتا على دينهما ودفناهما بحرتنا فأسكت القوم فلم يتكلم منهم متكلم ، ثم أعاد هذا الكلام ونحوه ، وخوفهم بالحرب والسباء والجلاء . فقال " الزبير ابن باطا " قد والتوراة قرأت صفته في كتاب التوراة التي نزلت على موسى ليس في المثاني الذي أحدثنا قال : فقال له كعب بن أسد : ما يمنعك يا أبا عبد الرحمن من اتباعه ؟ قال : أنت يا كعب . قال : كعب فلمَّ ؟ والتوراة ما حلت بينك وبينه قط ؟ قال الزبير : بل أنت صاحب عهدنا وعقدنا فإن اتبعته اتبعناه وإن أبيت أبينا . فأقبل عمرو بن سعد على كعب فذكر ما تقاولا في ذلك إلى أن قال عمرو : ما عندي في ذلك إلا ما قلت ما تطيب نفسي أن أصير تابعاً "[١] .

ويعلق ابن القيم على هذا النص بقوله :

" وهذا المانع هو الذي منع فرعون من اتباع موسى فإنه لما تبين له الهدى عزم على اتباع موسى ﷺ فقال وزيره هامان بينما أنت إله تُعبد تصبح تابعاً لغيرك قال : صدقت "[٢] .

والمتأمل في قول كعب يظهر له بوضوح أن الرياسة التي كان يتمتع بها أشراف اليهود منعتهم من الإيمان بمُحمد ﷺ ، واستنكفوا أن

---

[١] البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ٨٠ ، ٨١) مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م .

[٢] انظر : هداية الحيارى ص (٥٢ ، ٥٣) بتصرف .

يسمعوا لأحد كائنا من كان حتى ولو كان هو المبشر به في **التوراة** والذي يعـــرفونه كمـــا يعـــرفون أبناءهم ، لأنهم سيصيرون أتباعاً بعد أن كانوا متبوعين .

يقـــول ابـــن القـــيم : " وقد ناظرنا نحن وغيرنا جماعة منهم تبين لبعضهم فساد ما هم عليه **قالوا** : لو دخلنا في الإسلام لكنا من أقل المسلمين لا يأبه لنا ، ونحن متحكمون في أهل ملتنا في أموالهم ومناصبهم ولنا بينهم أعظم الجاه " [١] .

لقد كان ما يحظى به أحبار اليهود من الجاه والسلطان عند أتباعهم من أكبر العوامل التي جعلتهم لا يصدقون بالرسول ﷺ .

يقـــول الإمـــام الغزالـــي : " وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرســـول ﷺ ولا يؤمـــنون به خيفة من أن تبطل رياستهم واستتباعهم لمن نسخ علمهم " [٢] .

---

[١] هداية الحيارى لابن القيم ص (٤٦ ، ٤٧) .

[٢] إحياء علوم الدين (٩ / ١٦٨٨) .

ب : عند النصارى :

مــن **الأســباب** العامة التي يشترك فيها اليهود مع النصارى : **حب الرياسة والحرص على الدنيا** .

إذ أن النصــارى بعد أن وضح لهم الحق **وعرفوا الرسول ﷺ بأنه المبشــر بــه في كتبهم كان** يجب عليهم أن ينصاعوا ويقبلوا نبوة محمد ﷺ **ولكــن حرصهم على الدنيا** منعهم من ذلك ، وعلى الرغم من أن رفضهم **الإيمان بالرسول ﷺ** اتسم باللين والهدوء بعكس اليهود.والدليل على ذلك ما **فعله " المقوقس " عظيم مصر** إذ أنه بالرغم من عدم اعترافه بنبوة الرسول ﷺ **إلا أنــه رد رداً جمــيلاً** على رسالة النبي ﷺ وبعث مع حامل الرسالة **بالهدايا للنبي ﷺ** .

وقــد أورد "ابــن القيم" كتاب النبي إلى "**المقوقس**" **عظيم مصر** ونص الرسالة :

" بســم الله الرحمــن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله إلى **المقوقس عظيم القبط** .. سلام على من اتبع الهدى .. أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم **أهل القبط ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا على كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشــرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمين** ﴾ [1] .

---

[1] سورة ال عمران الآية (٦٤) .

وبعث به مع حاطب بن أبي بلتعه فقال المقوقس " إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمرهود فيه ، ولا ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال . ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى وسأنظر وأخذ كتاب النبي ﷺ فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية له ثم دعا كاتباً له يكتب بالعربية فكتب إلى رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك "[١] .

ولم يسلم المقوقس !!!

والباحث يرى أن عدم إيمان المقوقس بالنبي ﷺ يرجع إلى خوفه على ملكه وسلطانه وحبه للدنيا وزخرفها . وإلا فما الذي يمنعه بعد أن أخبر بأنه يعرف النبي ﷺ ؟

والنموذج الثاني : هو هرقل عظيم الروم

فقد أورد البخاري في صحيحه أن هرقل عظيم الروم سأل أبا سُفيان بن حرب وكان على الشرك ، عن رسول الله ﷺ عُدة أسئلة ثم انتهى هرقل قائلاً لأبي سفيان : " فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع

---

[١] زاد المعاد (٣ / ٦١) بتصرف

قدمـــي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه " [١] .

وفي رواية أخرى أن " هرقل " نادى " فقال يا معشر الروم هل لكم فـــي الفـــلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتابعوا هذا النبي . فحاصوا حيصة حمـــر الوحـــش إلـــى الأبواب فوجدوها قد غلقت فلما رأى هرقل نعرتهم وأيـــس مـــن الإيمان قال ردوهم عليّ وقال إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شـــدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه فكان ذلك آخر شأن هرقل " [٢].

وهـــذا الـــنموذج يريـــنا إلـــى أي حد كانت الرئاسة والملك تمنع النصارى من الاعتراف بنبوة محمد ﷺ .

ويبدو أن هذا المانع كان السبب في عدم إيمان علماء النصارى بعد اعترافهم بالحق .

فقـــد أورد ابن القيم أنه ناظر أحد علماء النصارى معظم يوم فلما تبيـــن له الحق بُهت " فقلت له وأنا وهو خاليين : ما يمنعك الآن من اتباع الحـــق ؟ فقال لي : إذا قدمت على هؤلاء الحمير(هكذا لفظه) فرشوا لنا الشـــقاق تحت حوافر دابتي وحكموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني فيما آمرهم به . وأنا لا أعرف صنعة ، ولا أحفظ قرآناً ، ولا نحـــواً ،

---

[١] رواه البخاري باب بدء الوحي (١ / ٦) ، والرواية طويلة وإنما اختصرناها لأن ما يهمنا هو موقف هرقل النهائي .

[٢] صحيح البخاري باب بدء الوحي (١ / ٧ ، ٨) .

ولا فقهــاً ، فلــو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس فمن الذي يطيب نفســاً بهذا ؟ فقلت : هذا لا يكون ، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه علــى هــواك يخزيك ويزلك ويحوجك ؟ ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفــرت بــه مــن الحق والنجاة من النار ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك فقال حتى يأذن الله .

فقلت : القدر لا يحتج به ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح وحجة للمشركين على تكذيب الرسل ولا سيما وأنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به ؟ فقال : دعنا الآن من هذا وأمسك " (١) .

وإذا كان حب الجاه والسلطان والدنيا مسيطراً على النصارى على هذا النحو فهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن المانع لهم الدنيا وزخرفها وهذا ما يمنع النصارى الآن من الدخول في الإسلام .

---

(١) هداية الحيارى ص (٢٢٥) .

٢ – ادعــاء الــيهود والنصـــارى أن التوراة والإنجيل لم ينسخا بالقرآن الكريم :

أ – اليهــود :

زعـــم الـــيهود أن شـــريعة موسى هي أول شريعة لم يتقدم مثلها لأحـــد ولا يكـــون غيرها أبداً [١] ، وأخذوا من ذلك مسوغاً لعدم الإيمان بمحمد ﷺ .

يصور القرآن الكريم موقفهم في قوله تعالى ﴿ **وإذا قـــيل لهم آمنوا بمـــا أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾ [٢].

يقول ابن ميمون اليهودي :

" إن دعوة سيدنا موسى لنا لم تتقدم مثلها لأحد ممن علمناه من آدم إلـــيه ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لأحد من أنبيائنا ، وكذلك قاعدة شريعتنا أن لا يكـــون غـــيرها أبداً فلذلك بحسب رأينا لم تكن ثم شريعة ولا تكون غير شريعة واحدة هي شريعة سيدنا موسى " [٣] .

وأمـــا عن الأنبياء بعد موسى ﷺ فإن "ابن ميمون" يقرر أنهم كانوا بمنزلة الوعاظ للناس داعين لشريعة موسى يتواعـــدون الراغب عنهـــا

---

[١] دلالة الحائرين ص (٤١١ ، ٤١٢) لموسى بن ميمون اليهودي .

[٢] سورة البقرة الآية (٩١)

[٣] دلالة الحائرين ص (٤١١ ، ٤١٢) .

ويعدون من استقام في اتباعها ، وهذه الشريعة أبدية لبني إسرائيل .

ويستدل ابن ميمون بنص في سفر التثنية يقول : " السرائر للرب إلهنا والمعلقات لنا ولبنينا إلى الأبد لنعمل بكلمات هذه الشريعة " [١] .

واليهود على اختلاف فرقهم ينكرون نبوة محمد ﷺ باستثناء فرقة منهم تدعي" الموشكانية " أشار إليها " الشهرستاني" أثبتوا النبوة للرسول ﷺ ولكن خصصوا رسالته إلى العرب ولسائر الناس ، باستثناء اليهود ويحتجون بأن اليهود أهل ملة وما سواهم لا ملة لهم [٢] .

ويربط اليهود بين النسخ والبداء [٣] ويقولون إن النسخ في الأوامر بِدَاَء والبِدَاَءْ لا يجوز على الله تعالى [٤]. إذ عندهم " كيف يجوز أن يُنسب إلى الله تعالى كتاب ينقض بعضه بعضاً يريدون بذلك ينسخ بعضه بعضاً " [٥] .

أما فيما يتعلق بالشرائع فإنهم قد استنكروا أن يبدل الله آية بآية أخرى أو حكماً بحكم آخر وكانوا يأخذون من جواز النسخ عند المسلمين مسوغاً لعدم الإيمان بالرسول ﷺ وكانوا يقولون هاهو محمد يأمر أصحابه

---

[١] سفر التثنية ٢٩ / ٢٩ .

[٢] انظر الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ٤٦ ، ٤٧) .

[٣] البداء : ظهور الرأي بعد أن لم يكن واستصواب شئ بعد أن لم يعلم ويقال بدا لي في هذا الأمر بداء أي ظهر لي فيه رأي آخر . المعجم الوسيط (١ / ٤٥) .

[٤] الملل والنحل للشهرستاني (٢ / ٤٢) بهامش الفصل لابن حزم .

[٥] إفحام اليهود ص (١٥٥) .

بأمــر ثــم يــنهاهم عــنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولاً ثم يرجع فيه غداً (١) .

هــذا عــن الــيهود ، فهم يعتبرون أن شريعة موسى هي الشريعة الأبديــة ومــن ثم فهم لا يعترفون بنبوة محمد ﷺ ويعيبون في الوقت نفسه علــى جواز النسخ عند المسلمين ويعتبرون أن النسخ بداء استصواب شئ بعد أن لم يعلم .

ب – أما عند النصارى :

فإن بعض النصوص وردت في العهد الجديد عن السيد المسيح عليه السلام مؤداها أنه ما جاء لينقض وإنما جاء ليكمل .

ورد في متى : " ولا تظنوا أني جئت لأنقض بل لأكمل فإن الحق أقول لكم إلــى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل " (٢) .

وقد أخذ النصارى هذا النص ، وأنكروا جواز النسخ عقلاً وأنكروا وقوعــه ليصلوا من هذا الإنكار إلى غاية حرصوا عليها وهي بقاء دينهم بجانــب الديــن الإسلامي بحجة أن شريعةً لا تنسخ بشريعة وأن حكما في شريعة لا ينسخ بحكم في شريعة بعدها (٣) .

---

(١) بنو إسرائيل في الكتاب والسنة ص (١٥٣ ، ١٥٤) .

(٢) إنجيل متى ٥ - ١٧ : ١٨ .

(٣) انظر النسخ فى القرآن ص (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨) للدكتور مصطفى زيد .

فالنصـــارى كاليهود كلاً منهما أنكر النسخ ليصل من خلال إنكاره إلى إنكار نبوة محمد ﷺ ، ومع إنكار محمد عند اليهود ينكرون عيسى عليه السلام أيضاً .

الرد على مزاعم اليهود والنصارى في عدم النسخ

أولاً : اليهــود :

يبيــن الله ﷻ كــذب اليهود في رفضهم الإيمان بالرسول ﷺ تحت دعوى الاكتفاء بما أنزل على أنبيائهم الذين أتوا بتقرير شريعة موسى عليه السلام فيقول الله ﷻ كاشفاً لسلوكهم المشين مع أنبيائهم ﴿ **قل فلم تقتلون أنبياء الله مــن قبل إن كنتم مؤمنين . ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون** ﴾ [١] .

وهذه الآية تبين كذب اليهود وافترائهم من وجوه :

الأول : أن دعــوى اليهود بأنهم يؤمنون بالتوراة التي نزلت عليهم فــيها تناقض لأن التوراة تدل على الصدق ، ودلت أيضاً على أن من كان صادقاً في ادعاء النبوة ثم قُتِل فإن قتله يقتضي كفر من قتلوه واليهود قتلوا أنبياءهم مثل " زكريا " و" يحيى " عليهما السلام ، وهموا بقتل "عيسى" عليه السلام ولكن الله ﷻ نجاه منهم .

الثاني : أن دعوى اليهود منقوضة لأنهم لم يلتزموا بما جاء بـــــه

---

[١] سورة البقرة الآية (٩١ ، ٩٢) .

موســـى ﷺ واتخـــذوا العجل في حياته ولو كانوا مؤمنين حقاً بالتوراة ، وبموسى ما فعلوا ذلك .

الثالـــث : أنه لما ثبتت نبوة محمد ﷺ بالمعجزات التي ظهرت على يديـــه وبمـــا تواتـــر لدى اليهود من البشارة به في التوراة كان الإيمان به واجـــباً لا محالـــة ، وعـــند هذا يتضح أن الإيمان ببعض الأنبياء وببعض الكتـــب والكفر بالبعض الآخر خروج عن الإيمان والتصديق أصلاً وفصلاً ومـــن ثـــم يظهر كذب اليهود فيما ادعوه من الإيمان بموسى وبأنبيائهم ، لأنهـــم لـــم يؤمـــنوا بمحمـــد ﷺ الذي جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

أما ما يزعمه اليهود من أن شريعتهم أبدية وهو ما ذكره ابن ميمون فـــيرد عليهم ، وعليه بما ورد في التوراة التي بين أيديهم من أن هناك نبياً منتظراً يأتي وهم مأمورون بالإيمان به واتباعه .

ورد فـــي ســـفر التثنية : " يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون " (١) .

وورد فـــي نفـــس الســـفر : " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعـــل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه " (٢) .

---

(١) سفر التثنية ١٨ ـ ١٥ .

(٢) سفر التثنية ١٨ ـ ١٨ : ٢٠ .

وهـذا النص والذي قبله يشيران إلى نبوة محمد ﷺ ، وأن الله ﷻ يقول سأجعل لبني إسرائيل نبياً من إخوتهم ، وإخوتهم أولاد إسماعيل ﷺ ولـو كـان النبـي من أولاد يعقوب لقال منهم أو من أنفسهم ولم يقل من إخوتهـم لأنه قد ورد في التوراة الحالية أنه لا يكون نبي من بني إسرائيل مـثل " موسـى" ، فلابد وأن يكون من غير بني إسرائيل وبأن المراد به محمد ﷺ [١] .

أما استدلال فلاسفتهم مثل " موسى بن ميمون" على أبدية الشريعة ، فإن كلمة الأبد وردت في العهد القديم بمعنى المدة المحدودة ، فقد ورد في سـفر التثنية : " لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد " [٢] .

وهـذا يـدل على أن الأبد هنا محدد [٣] بالجيل العاشر ، وكذلك شريعة موسى ليست أبدية إلى يوم القيامة وإنما هي مؤقتة بظهور النبي ﷺ ومن هنا يظهر كذب اليهود في ادعائهم أبدية الشريعة اليهودية .

وقـد أورد الإمـام السـموآل في كتابه إفحام اليهود إلزامات على اليهود في النسخ منها قوله في مجادلتهم :

هل كان قبل نزول التوراة شرع أم لا ؟

---

[١] مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص (١٤٦) .

[٢] سفر التثنية ٢٣ / ٣ .

[٣] أشعياء ٦٠ ـ ٢٠ : ٢٢ .

فـــإن جحـــدوا كذبوا بما نطق به الجزء الثاني من السفر الأول من التوراة ، إذ شرع الله تعالى على نوح ﷺ القصاص في القتل ذلك بقوله :
" شيوفيخ دام ها أدام داموا يشافيخ كي بصلم ألوهيم عاما اث ها أدام "

تفسيره :

" ســافك دم الإنسان فليحكم بسفك دمه لأن الله تعالى خلق الآدمي بصورة شريفة " (١) .

وبمـــا يشهد به الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة إذ شرع الله تعـــالى علـــى إبراهيم ﷺ ختانة المولود في اليوم الثامن من ميلاده ، وهذه وأمثالها شرائع لأن الشرع لا يخرج عن كونه أمراً ونهياً من الله ﷻ لعـــباده ســواء نزل على لسان رسول أو كتب في أسفار أو ألواح أو غير ذلـــك ، فإذا أقروا بأن قد كان شرع ، قلنا لهم : ما تقولون في التوراة هل أتـــت بزيادة على تلك الشرائع أم لا ؟ فإن لم تكن أتت بزيادة فقد صارت عبـــثاً إذ لا زيـــادة فـــيها علـــى ما تقدم ولم تغن شيئاً فلا يجوز أن تكون صـــادرة عـــن الله تعـــالى فيلزمكم أن التوراة ليست من عند الله تعالى ، وذلـــك كفر على مذهبكم وإن كانت التوراة أتت بزيادة فهل في تلك الزيادة تحريم ما كان مباحاً أم لا ؟

فإن أنكروا ذلك بطل قولهم من وجهين :

---

(١) هذه هي ترجمة الإمام السموءل للنص العربي ، أما ترجمة النص ذاته في العهد القديم الآن فهو " سافك الإنسان بالإنسان يسفك دمه لأن الله على صورته عمل الإنسان " تكوين ٩ ـ ٦ .

الأول : أن التوراة حرمت الأعمال الصناعية في يوم السبت بعد أن كان ذلك مباحاً وهذا بعينه هو النسخ .

الثاني : أنه لا معنى للزيادة في الشرع إلا تحريم ما تقدمت إباحته أو إباحة ما تقدم تحريمه [١] وهي إلزامات لا يمكن لليهود نقضها إلا بالمكابرة والجحود . وقد ورد في أسفار اليهود ما يدل دلالة قاطعة على وجود النسخ في الشريعة اليهودية ، وهناك نصوص حرمت عليهم بعض الأطعمة ونصوص أخرى أحلت لهم هذه الأطعمة .

من ذلك ما ورد في سفر التكوين " وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء مع كل ما يدب على الأرض وكل أسماك البحر قد دفعت إلى أيديكم كل دابة حية تكون لكم طعاماً كالعشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع " [٢] .

هذا النص يفيد أن الأطعمة كلها كانت حلالاً لنوح عليه السلام ولأبنائه ولكن هذا العموم وتلك الإباحة حُرمت منها بعض الأطعمة ، من ذلك ما ورد في نفس سفر التكوين ولكن في زمان يعقوب " فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلاً لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع على فخذه لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب

---

[١] إفحام اليهود ص (٨٦ ، ٧٧ ، ٨٨) .

[٢] سفر التكوين ٩ – ١ : ٤ .

على عرق النسا " [١] .

وكمـــا هــو واضح فإن يعقوب حرم عليه ما أحل لنوح ولأبنائه ، أما في زمان سيدنا موسى فإن هناك جملة من الأطعمة حرمت على اليهود مــن ذلــك ما ورد في سفر اللاويين " وكل دبيب يدب على الأرض فهو مكــروه لا يؤكل كل ما يمشي على بطنه وكل ما يمشي على أربع مع كل مـــا كثرت أرجله من كل دبيب يدب على الأرض لا تأكلوه لأنه مكروه ، لا تدنســـوا أنفسكم بدبيب يدب ولا تتنجسوا به ولا تكونوا به إني أنا الرب إلهكـــم فتتقدســـون وتكونــون قديسين لأني أنا قدوس ولا تنجسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض ، هذه هي شريعة البهائم والطيور وكل نفس حية تســـعى في الماء وكل نفس تدب على الأرض للتمييز بين النجس والطاهر وبين الحيوانات التي تؤكل والحيوانات التي لا تؤكل " [٢] .

وهذا النص أوضح من سابقيه في تحريم بعض الأطعمة التي أحلت لـــنوح ولـــيعقوب عليهما السلام ، وكما فعل الله مع نوح ويعقوب وموسى وعيســـى فعل مع محمد ﷺ ، فقد نسخ الإسلام الشرائع السابقة التي قبله ، وجاء بحلٍ لكثير من الأطعمة التي حُرِمت على اليهود بسبب ظلمهم .

يقول تعالى ﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبـــات أحلت

---

[١] سفر التكوين ٣٢ ـ ٣٠ : ٣٣ .

[٢] سفر اللاويين ١١ ـ ٤١ : ٤٧ . وقد اكتفيت هنا بإيراد بعض الفقرات وإلا فإن الإصحاح كله أسماء حيوانات وطيور وأسماك . هذه تؤكل وهذه لا تؤكل مثل الأرنب والجمل وكل ما ليس مشقوق الظفر والضب والفأر وأصناف متعددة مذكورة باسمها .

لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ (١) .

أمـــا بالنسبة لأمة الإسلام فإن الله ﷻ قد أباح كل الأطعمة باستثناء بعــض المحرمات . يقول تعالى ﴿ **قل لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهلَّ لغير الله به** ﴾ (٢) .

وبعــض الأطعمة الأخرى التي وردت في السنة مثل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور والحمر الأهلية .

وغرضـــنا من هذا كله أن نبين أن النسخ كان موجوداً في شريعة الأنبياء قبل وبعد موسى ﷺ كما أوضحنا .

بقيت نقطة أخيرة : وهي ربط اليهود بين النسخ والبداء :

إن النســخ لا يغير أمراً قد استحدث عند الله بعد أن لم يكن ، وإنما هــو جديــد بالنسبة للبشر فقط أما بالنسبة لله تعالى فهو قد سبق في علمه وأظهره في وقت حدده سبحانه وتعالى ، فالنسخ يعتبر تحقيقاً لما علمه الله لا اعتراضـــا علـــيه ، ومثال ذلك ولله المثل الأعلى : حين يعالج الطبيب مريضاً فيرى أن المرحلة التي يجتازها من مراحل مرضه يصلح لها دواء معين وهو يعلم المدة التي يجب أن يتناول الدواء فيها ، ثم يصف بعد مدة أخرى دواء آخر يصلح له في هذه المرحلة لا يوصف الطبيــب أنه كان

---

(١) سورة النساء الآية (١٦٠) .

(٢) سورة الأنعام الآية (١٤٥) .

[illegible] جاهلاً لأنه وصف [illegible] في فترتين مختلفتين [illegible] حد
حالة المريض منذ البداية والله ﷻ سبق في علمه شريعة معينة تصلح
لوقت معين وشريعة أخرى تصلح لوقت آخر تنسخ سابقتها ، فهل يوصف
بالجهل ؟ تعالى الله عما يصفه به اليهود " (١)

ونحن نتساءل إذا كان النسخ موجوداً بالنصوص التي أوردناها من عند اليهود وأن النسخ لا يستلزم البداء فلماذا ينكر اليهود النسخ ؟

والجواب على هذا من خلال دراسة الباحث ينحصر في :

أولاً : أن اليهود يكتمون الحق وهم يعلمونه .

ثانياً : أن اليهود اختلقوا مسألة عدم جواز النسخ لا لأن شريعتهم لا تقول بذلك ، ولكنهم يقصدون من وراء إنكارهم النسخ ووقوعه إنكار نبوة عيسى ﷺ أولاً ، وثانياً إنكار نبوة محمد ﷺ ، بناء على أن شريعتهم أبدية كما يزعمون وشريعة محمد ﷺ ناسخة لها ، ومن ثَمَّ فهم قد اخترعوا عدم جواز النسخ لهذا السبب .

الرد على النصارى في منعهم النسخ :

ب – أما ما يدعيه النصارى من عدم جواز النسخ بناء على ما ورد في إنجيل " متى" ، فإنه قد ورد عن المسيح نفسه في إنجيل " متى" حسب زعم النصارى ما يفيد النسخ ، وورد أيضاً عن تلاميذه ما يفيد ذلك ، أما ما ورد عن المسيح ففي إنجيل " متى" ورد " وجاء إليه الفريسيون ليجربوه

---

(١) انظر النسخ للدكتور مصطفى زيد ص (٣٠ ، ٣١) وانظر إفحام اليهود ص (٩٩ ، ١٠٠) .

قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب وقال لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان . قالوا : فلماذا أوحى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ؟ قال لهم : إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ولكن من البدء لم يكن هذا وأقول لكم : إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزني والذي يتزوج بمطلقة يزني " [١] .

وما ورد في " متى" يخالف ما ورد في سفر التثنية الذي ورد فيه : " إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة في عينيه لأنه وجد فيها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يده وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذي اتخذها له زوجة " [٢] .

فنصوص إنجيل " متى" حرمت الطلاق إلا بسبب الزنا .

ونصوص سفر التثنية أباحت الطلاق مطلقاً ، ونص " متى" نسخ نص التثنية .

أما ما ورد عن تلاميذ المسيح فقد ورد في أعمال الرسل ما نصه:

---

(١) متى ١٩ – ٣ : ١٠ .

(٢) التثنية ٢٤ – ١ : ٤ .

" لقـد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاها لأنه قـد رأى الـروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر من غير هذه الأشـياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون كونوا معافين " [١] .

وهذا النص يخالف ما ورد في سفر اللاويين [٢] من تحريم جملة كبـيرة من الأطعمة مذكورة بأسمائها في السفر المذكور وقد أوردنا طرفاً مـنها عـند حديثنا عن جواز النسخ في شريعة اليهود ، وهنا أمور كثيرة أحلهـا عيسـى ﷺ مثل الختان ووجوبه عند اليهود فقد أباحه عيسى ﷺ ومـثل الـراحة في يوم السبت ، فقد نسخها عيسى ﷺ وإنما لم نكثر من الحديـث عند النصارى لإلزامنا إياهم بما ألزمنا به اليهود ، لأن النصارى تقدس العهد القديم والجديد معاً .

---

(١) أعمال الرسل ١٥ ـ ٢٦ : ٢٩ .

(٢) سفر اللاويين وانظر على وجه الخصوص الإصحاح ١١ ـ ٤١ : ٤٧ .

الأسباب الخاصة التي جعلت اليهود لا يعترفون بالنبي ﷺ

١ – الحســد :

الحســد مــرض نفســي لعين وداء في النفس وحين يرى الحاسد المحســود وقــد مــنّ الله عليه بشئ لم يؤت مثله فإن الحسد لا يدعه ينقاد للمحسود ويكون من أتباعه .

وللحسد أسباب كثيرة ذكرها الإمام الغزالي في الإحياء منها :

[١] العــداوة والبغضاء والحسد بسبب البغض يفضي إلى التنازع والــتقاتل واســتغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل وما يجري مجراها . وقــد ولدت العداوة والبغضاء كل الرذائل التي مارسها اليهود مع الرسول والمسلمين .

[٢] الــتعزز : وهو أن يثقل عليه أن يترفع عليه غيره وقد كان هذا من ضمن الأسباب التي جعلت اليهود لا يقبلون نبوة محمد ﷺ .

[٣] الكــبر : ذلك أن اليهود في طبعهم من الحقد والاستكبار ما جعلهم يمتنعون عن الانصياع لرسالة الإسلام .

[٤] التعجب : واليهود كانوا أكثر الناس عجباً بأنفسهم فقد زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه .

[٥] الخوف من فوت المقاصد . فقد خاف اليهود من فوت المال والسلطان اذا دخلوا في الإسلام .

[٦] خبث النفس وشحها بالخير لعباد الله . واليهود لم يكتفوا بالبخل والشح وإنما أضافوا إلى خسائسهم الاعتراض على فضل الله بإعطائه النبوة للرسول ﷺ (١) .

وقد حسد اليهود النبي ﷺ لهذه الأسباب كلها وزيادة على ذلك فإن الرسول جاء بشريعة ناسخة لشريعتهم وبكّت اليهود وبيّن مكرهم وخداعهم لله ورسله بل وقاتلهم وحاربهم وأخرجهم من ديارهم ولم يملكوا معه شيئا فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم وهم مستعدون لذلك ؟ (٢) .

وقد تتبعت الآيات القرآنية التي وصفت أهل الكتاب بالحسد فوجدت في سبب نزولها أنها خاصة باليهود فحسب ، وهذا ما جعلني أذكر الحسد بجانب اليهود بالرغم من أن عموم الآيات في القرآن الكريم تذكر أن الحسد عام في أهل الكتاب ، وقد ظهرت مواقف من اليهود تبين حسدهم للنبي ﷺ .

منها : قولهم للمشركين حين سألوهم نحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا لهم بل أنتم على الحق .

أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس " كان الذين حزّبوا الأحزاب على الرسول ﷺ من قريش وغطفان وبني قريظة : " حُيَيْ بن أخطب " و" سلام ابن أبي الحقيق " و" أبو رافع " و" الربيع بن أبي الحقيق " و" أبو عمارة "

---

(١) إحياء علوم الدين (٩ / ١٦٨٦ – ١٦٨٨) وانظر الدعوة والإنسان ص (٤٣٦ ، ٤٣) .

(٢) هداية الحيارى ص (٤٧ ، ٤٨) .

و [illegible] قيس [illegible] كان سائرهم من بني النضير فلما قدموا [illegible] قريش قــالوا : هؤلاء [illegible] أحبار يهود أهل العلم بالكتب الأولى فاسألوهم أدينكم أم ديــن محمد ؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه وممن اتــبعه ، فأنــزل الله ﴿ **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبــت والطــاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا ســبيلاً أولــئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً أم لهم نصــيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً أم يحسدون الناس على ما آتــاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً** ﴾ (١) .

والحسد الذي تم من اليهود للنبي ﷺ بسبب النبوة التي تفضل الله بها علــيه وضم إليه أنه جعله كل يوم أقوى دولة وأعظم شوكة وأكثر أنصاراً وأعوانا وكل ذلك مما يوجب الحسد العظيم ، والله ﷻ يعنف اليهود لحقدهم وحسدهم للرسول ﷺ بالذات .

[illegible]ـع [illegible] جعل في أولاد إبراهيم النبوة والملك ، واليهود لا يتعجبون من ذلك [illegible] يحسدونهم ، فلم يتعجبون من محمد ويحسدونه ؟ (٢)

والحســد مــن جانــب اليهود لم يقف عند حد النبي ﷺ وإنما تعداه لأصحاب رسول الله ﷺ ..

يقول الله تعالى ﴿ **ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكــــم**

---

(١) سورة النساء الآية (٥١ : ٥٤) وانظر لباب المنقول في أسباب النزول للسيوطي ص (١١٣ ، ١١٤) .

(٢) انظر التفسير الكبير للرازي (١٠ / ١٣٢ ، ١٣٣) .

كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شئ قدير ﴾ (١) .

إن الحسد من جانب اليهود الذي ينبعث منهم بسببه الحقد والكراهية إلى درجة أنهم يتمنون أن يعود المسلمون كفاراً .

فقد أورد " الرازي" أن نفراً من اليهود منهم " فنحاص بن عاذوراء و" زيد بن قيس " قالوا لجماعة من المسلمين منهم " حذيفة بن اليمان " و" عمار بن ياسر" بعد غزوة أحد : ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلاً فرفضوا وردوا عليهم بأنهم لا يتركون دينهم ماداموا على قيد الحياة ثم أتوا الرسول ﷺ وأخبروه فقال أصبتم وأفلحتم فنزلت هذه الآية " ود كثير من أهل الكتاب " (٢) .

ولم يتوقف الحسد عند حد الانفعال الأسود الخسيس تجاه الإسلام والمسلمين بل تعداه إلى همهم بقتل النبي ﷺ ومعاونتهم المشركين في غزوة الخندق .

فقد أورد ابن هشام أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين قتلهما المسلمون خطأ . فلما ذهب إليهم قالوا : " نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببتَ مما استعنتَ بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ورسول الله ﷺ إلى جانب

---

(١) سورة البقرة الآية (١٠٩) .

(٢) انظر الرازي (٣ / ٢٦٢ ، ٢٦٣) وفي ظلال القرآن (١ / ١٠٢ ، ١٠٣) .

جدار من بيوتهم قاعد فمن رجل يعلو على هذا فيلقي عليه صخرة فيريحنا منـه . فانتدب لذلك "عمرو بن جحاش بن كعب " أحدهم فقال : أنا كذلك ، فصـعد ليلقي عليه صخرة كما قال ، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فـأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم " [١] .

ودفـع " بـنو النضير" جزاء حسدهم وبغيهم وخيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين ، وأجلاهم النبي ﷺ عن ديارهم بعد أن شفع فيهم رأس المنافقين " عبد الله بن أبي بن سلول " .

ومـا موقـف بنـي قريظة ببعيد عن موقف إخوانهم في الكفر من بني النضير فقد ظاهروا رسول الله ﷺ وتحالفوا مع المشركين وسائر قبائل العـرب حـول المدينة ، لولا أن عصم الله المسلمين من فتنة أحدقت بهم وزُلـزلوا زلزالاً شديداً ، ورد الله المشركين بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال ووقع الجزاء الأوفى باليهود الذين خانوا رسول الله ﷺ .

ويتضـح الحسد والحقد في نفوسهم أثناء محاصرة النبي ﷺ لهم من رفضـهم للعرض الذي عرضه عليهم أحدهم وهو كعب بن أسد وذلك أنه قـال لهم : (يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض علـيكم خـلالاً ثلاث فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه الذي تجدونه في

---

[١] سيرة ابن هشام (٣ / ١١٤) .

كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم . قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره) [١] .

فقد وصل بهم الأمر والموت يحيط بهم من كل جانب أن يرفضوا نبوة الرسول ﷺ حسداً وحقداً وبغضاً للإسلام ولرسوله .

وكما يقول أستاذنا الدكتور " عبد الله الشاذلي " فإن مسلك اليهود يجري على وتيرة واحدة أنهم لا يعبأون بالأمر عند ظهوره فإذا ما رأوه نشط حاولوا احتواءه بشتى الوسائل وإذا ما قوي واجهوه بحدة وجمعوا له كل ما لديهم وجندوا له جنودهم واستنفروا همم المنكرين ليقفوا صفاً واحداً ضد الحق ، ولكن النتيجة المحتومة تكون دائماً لصالح الحق المؤكد لا الباطل المموه [٢] ، وهذا ما حدث بالفعل في الصراع بين الإسلام واليهود .

وهذا ما سيحدث إن شاء الله بين الإسلام واليهود في المعركة الدائرة بينهم الآن .

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ [٣] .

---

[١] سيرة ابن هشام (٣ / ١٥٠) .
[٢] انظر بتصرف : الدعوة والإنسان ص (٤٥٩) .
[٣] سورة غافر الآية (٥١) .

[٢] دعـوى اليـهود أن الله عهد إليهم ألا يؤمنوا برسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار :

لقـد زعـم اليهود وافتروا كذباً على الله رب العالمين أن الله عهد إلـيهم ألا يؤمـنوا برسول حتى يأتيهم بآية حسية محددة تتمثل في قربان يأكلـه النار وهم يقصدون من وراء ذلك عدم الإيمان بالرسول ﷺ لأنه ما دام لم يأتهم بقربان فليس برسول من عند الله .

يقـول الله تعالى ﴿ **الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين** ﴾ [١] .

والله ﷻ يقـيم الحجة على اليهود أنه إذا كان الشرط نزول قربان ، فـإن هـذا الشـرط قد تحقق على أيدي رسل من قبل النبي ﷺ ومع ذلك كذبهـم الـيهود وقتلوهم ، هذا على فرض صحة كلام اليهود أن الله عهد إليهم بذلك [٢] .

ولكـن الإمـام الرازي يذهب إلى أن ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة ويستدل على ذلك بوجوه منها :

(٢) لو كان ذلك حقاً لكانت معجزات الأنبياء كلها هذا القربان ، ومعلوم أن معجزات الأنبياء ما كانت هذا القربان كما دلت معجـزات

---

[١] سورة آل عمران الآية (١٨٣) .

[٢] انظر تفسير الجلالين ص (٦٢) .

موسى عليه السلام مع فرعون عليه اللعنة .

(٢) أن نزول هذه النار وأكلها للقربان معجزة فكانت هي وسائر المعجـزات على السواء فلم يكن في تعيين هذه المعجزة وتخصيصها فائدة ولما ظهرت معجزة محمد ﷺ وهي القرآن وجب القطع بنبوته سواء ظهرت هذه المعجزة أو لم تظهر .

(٣) أنه إما أن يقال أنه جاء في التوراة أن مدعي النبوة وإن جاء بجميع المعجزات فلا تقبلوا قوله إلا أن يجئ بهذا القربان ، أو يقال جاء في التوراة أن مدعي النبوة يطالب بالمعجزة سواء كانت المعجزة هي مجيء النار أو شئ آخر والقول الأول باطل لأن على هذا التقدير لم يكن الإتيان بسائر المعجزات والأعلى الصدق ، وإذا جاز الطعن في سائر المعجزات جاز الطعن أيضاً في هذه المعجزة المعينة .

والقـول الثاني باطل أيضاً لأنه يقتضي توقيت الصدق على ظهور مطلق المعجـزة لا على ظهور هذه المعجزة المعينة ، فكان اعتبار هذه المعجـزة عبثاً ولغواً ، وهذا يدل على كذب اليهود في كل الأحوال وعلى كل الاحتمالات [١] .

---

[١] التفسير الكبير للرازي (٩ / ١٢٠ ، ١٢١) بتصرف .

[٣] كراهية اليهود لجبريل ﷺ منعتهم من الإيمان بالرسول ﷺ :

مــن الأسباب التي جعلت اليهود لا يؤمنون بمحمد ﷺ كون جبريل هو الذي ينزل بالوحي على الرسول ﷺ .

فقد أورد " السيوطي" في لباب المنقول أن : " عمر كان يأتي اليهود فيســمع مــن التوراة فيتعجب كيف تصدق ما في القرآن . قال : فمر بهم النبي ﷺ فقلت نشدتكم بالله أتعلمون أنه رسول الله فقال عالمهم : نعم . نعلم أنــه رســول الله . قلــت : فلم لا تتبعونه ؟ قالوا : سألناه من يأتيه بنبوته فقــال : عدونا جبريل لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك . قلت : فمــن رسلكم من الملائكة ؟ قالوا : ميكائيل ينزل بالقطر والرحمة . قلت : وكــيف منزلهما من ربهما ؟ قالوا : أحدهما عن يمينه والآخر عن الجانب الآخر . قلت : فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي ميكائيل ، ولا يحل لميكائيل أن يســالم عدو جبريل.وأنني أشهد أنهما وربهما سِلْمٌ لمن سالموا وحرب لمــن حــاربوا . ثم أتيتَ النبي ﷺ وأنا أريد أن أخبره فلما لقيته قال : ألا أخــبرك بآيــات أنزلت عليّ ؟ فقلت : بلى يا رسول الله . فقرأ " من كان عــدواً لجــبريل " حتى بلغ " للكافرين " فقلت يا رسول الله : والله ما قمت مــن عــند اليهود إلا إليك لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم فوجدت الله قد سبقني " [١].

وقــد وردت روايــات أخرى متعددة يقوي بعضها بعضاً على أن قوله تعالى : ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبــك بإذن الله

---

[١] لباب النقول ص (١٥ : ١٧) وفتح الباري (٨ / ١٣٥) .

مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ [١] .

وهــذا الاعتراض من جانب اليهود على جبريل مماحكة وتنطع ، وإلا فمــا دخلهــم باختيار الله لملائكته لما حسدوا النبي ﷺ أرادوا أن يعم حقدهم وحسدهم على ملائكة الله التي لا علم لأحد من خلق الله بهم إلا عن طريق رسل الله ، ولكنهم أرادوا أن يدخلوا في كل صغيرة وكبيرة وكأنهم أوصــياء على خلق الله ورسله وملائكته أيضاً ولا يستغرب الإنسان كثيراً لمــثل هذه المماحكات ، فقد افتروا على الله واتهموه بما لا يليق به ، ولهم شبهات أخرى تتعلق بتحويل القبلة وسؤالهم النبي ﷺ عن كيفية خلق الجنين ذكــراً أو أنثى في بطن أمه وعن أشراط الساعة وغيرها كثير اكتفينا بأهم الشُبَهِ التي رفضوا الإسلام من أجلها .

---

(١) سورة البقرة الآية (٩٧) .

من الأسباب الخاصة عند النصارى في إنكارهم نبوة محمد ﷺ :

اعتقادهم ألوهية عيسى ﷺ :

وهـــذا الســـبب جعلهم يرفضون الإسلام ونبيه لأنهم لم يكن عندهم أدنى استعداد لأن يستمعوا من أحد أن عيسى عبد الله ورسوله . وقد ورد أن وفـــد نجران أتى النبي ﷺ وكان محور الجدال حول ألوهية عيسى ﷺ وفـــي هـــذا الحـــوار اعتـــبر وفد نجران أن قول الرسول ﷺ أنه عبد الله ورسوله – نوع من الاستهزاء والسخرية بعيسى ﷺ .

يقول الألوسي : ذكر غير واحد أن وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ مـــالك تشـــتم صاحبنا ؟ قال : ما أقول ؟ قالوا : تقول إنه عبد الله . قال : أجـــل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقـــالوا هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله تعـــالى ﴿ **فمـــن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين** ﴾ [١] .

فقـــد اعتـــبر وفد نجران أن وصف عيسى بالعبودية فيه إهانة له ، ولـذلـــك لما رأى رسول الله ﷺ أنهم من عُباد الجدل وعشاق الجوار دعاهم إلى المباهلة ، فقالوا : "يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن تفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم

---

(١) سورة آل عمران الآية (٦١) وانظر الألوسي (٣ / ١٨٦) وانظر لباب المنقول ص (٨٥) .

فقـــالوا : يـــا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفـــتم أن محمـــداً لنبي مرسل ، وقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقـــد علمـــتم ما باهل قوم نبياً قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنـــتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا أبا القاسم فقد رأينا ألا نلاعنك وأن نتركك على ديـــنك ونـــرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا " (١) .

ويعلق الرازي على هذه الرواية بقوله :

" واعلـــم أن هـــذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث " (٢) .

وواضح أن وفد نجران علم الحق وبان له أن محمداً ﷺ رسول من عند الله وإلا ما خافوا من المباهلة .

والشئ الذي نخرج به من هذا النص ومن غيره أن تقرير الإسلام بعـــبودية عيسى بن مريم كان سبباً رئيساً في عدم دخولهم الإسلام ، على عهد رسول الله ﷺ وبعده .

فقد أورد " الرازي" أنه ناقش أحد النصارى وكان محور المناقشـــة

---

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ١٦٠) .

(٢) التفسير الكبير للرازي (٨ / ٨٥) ، وروح المعاني (٣ / ١٨٦) وانظر : زاد المعاد (٣ / ٣٨ – ٤٢) .

يــدور حول ألوهية عيسى ، ونبوته ، فالرازي يثبت له النبوة وينفي عنه الألوهية .

أمــا النصراني فقال : " أنا لا أقول في عيسى عليه السلام أنه كان نبياً بل أقول إنه كان إلهاً " [١] .

ولقــد تعرضنا لنفي ألوهية المسيح عند حديثنا عن النزعة المادية عند النصارى [٢] .

---

[١] التفسير الكبير للرازي (٨ / ٨٣) .

[٢] انظر رسالتنا للدكتوراة : موقف القرآن الكريم من الفكر المادي . كلية أصول الدين بطنطا سنة ١٩٩٠م .

إنكار المستشرقين للنبي ﷺ

تمهيد :

الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وهو مصطلح واسع يشمل البحث في العلوم والفنون والآداب والديانات والتاريخ وكل ما يتعلق بالشرق عامة [١] ، والمسلمين خاصة .

والهدف الأساسي من دراسة المستشرقين للشرق هو ما وضحه " رودي بارت " بقوله : " وعملنا على مستوى العلماء يسعى إلى هدف بعينه هو اختراق الأفق الفكري الذي تفرضه البيئة حولنا وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق لكي نتعلم من الكيان الغريب علينا كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنساني وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن في نهاية المطاف " [٢]

فالهدف كما يصرح " رودي بارت " هو فهم ذاتهم هم أولاً وأخيراً لأن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوربيين آثاراً عميقة.وجاءت بعد ذلك حركة الإصلاح الديني في أوربا على يد " مارتن لوثر، وكالفن " وغيرهما ؛ فشعر المسيحيون بحاجات ضاغطة لإعادة النظر في شرح كتبهم الدينية ولمحاولة فهمها على أساس تطورات حركة الإصلاح فاتجهوا إلى الدراسات العبرية التي أدتهم إلى العربية التي أدتهم إلى الإسلامية لأن فهم اللغة لا يتأتى إلا من خلال الدراسات الإسلامية . هذا من جانب النصارى

---

(١) انظر الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية . تأليف رودي بارت ، ترجمة مصطفة ماهر ، دار الكاتب العربي . وانظر المستشرقون ومشكلات الحضارة ص (١١) للدكتورة عفاف صبرة .

(٢) الدراسات العربية ص (١٣) .

أمـــا من جانب اليهود فإن الدكتور " البهي " يذكر أن إقبال اليهود على الدراسات الإستشراقية كان بهدف إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمه بادعــاء أن الــيهودية هي مصدر الإسلام الأول ، وكان لأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية فكرة ودولة [١] .

والاستشـــراق بـــدأ بدايـــة فردية ، وتشير المصادر إلى أن بداية الدراســات العربــية والإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر ، ففي عام ١١٤٣م تمــت تــرجمة القــرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية واستمرت الدراســات الاستشراقية في القرن الثالث عشر والرابع عشر وكان الهدف مــن ورائـــه إقـــناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي [٢] .

ويكـــاد المؤرخـــون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوربا بصفة جدية بعد فترة الإصلاح الديني [٣] .

---

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ملحق المبشرون والمستشرقون وموقفهم من الإسلام ص (٤٧٣ ، ٤٧٤) .

(٢) الدراسات العربية ص (٩) .

(٣) الفكر الإسلامي الحديث ص (٤٧٢) .

أهم شبهات المستشرقين حول النبوة :

ادعـــاؤهم أن القـــرآن الكريم ليس وحياً من عند الله وإنما هو من تأليف محمد ﷺ .

تكاد تتفق كلمة المستشرقين على أن الرسول ﷺ هو مؤلف القرآن وقد تأثر بالبيئة العربية من حوله وظهر هذا في القرآن الكريم كفكرة الإله الواحد .

يقـــول المستشرق الإنجليزي " جب " : " إن فكرة الوحدانية كانت معـــروفة في غرب الجزيرة العربية ، لقد كان وجود الإله الأكبر وهو الله مبدأ مقبولاً كأصل عام لدى محمد ولدى خصومه على السواء ، والقرآن لم يناقش هذه النقطة أبداً " [١] .

وفكـــرة تألـــيف الرســـول للقـــرآن لا يكـــاد يخلو كتاب لأحد من المستشرقين عنها .

أمـــا " جولدتسيهر " فهو يرى أن رسالة الإسلام التي جاء بها النبي ليست " إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصـــاله بالعناصر اليهودية والمسيحية مثل كلامه عن الدار الآخرة الذي اســـتقاه مـــن تـــاريخ العهد القديم وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء [٢] ويردد هذا الكلام جُل المستشرقين [٣] .

---

(١) المذهب المحمدي لجب نقلاً عن الفكر الإسلامي الحديث ص (٢٠٥ ، ٢٠٦) .

(٢) العقيدة والشريعة في الإسلام ص (٥ – ٨) بتصرف كبير ، اجناس جولد تسهير ، ترجمة د/ محمد يوسف موسى وآخرين . الناشر دار الرائد العربي .

(٣) انظر الفكر الإسلامي الحديث ص (٢٠٢ ، ٢٠٣) وانظر دائرة المعارف الإسلامية (١٢ / ٤١٦ ، ٤١٧) وانظر الاستشراق والخلفية الفكرية ص (٨٢ ، ٨٣) وانظر =

تفنيد هذه الشبهـــة :

سوف نتناول أصل الشبهة وهو تلقي الرسول ﷺ القرآن من مصدر بشري من داخل الجزيرة العربية أو من خارجها .

ولنــــبدأ أولاً : بمكـــة من يا ترى من الممكن أن يعلم محمداً ؟ هل المكيون الذين كانوا في ضلال مبين كما صرح القرآن ؟ إن هذا الافتراض لا يقبله عقل ولا يؤيده نص من النصوص .

أمـــا أن يكـــون أحد الذين يقرأون ويكتبون في مكة هو الذي علم الرســـول . وأول مـــن تـــتجه الأنظار إليه " ورقة بن نوفل " لم يُعلم أن الرســـول ﷺ جلـــس إلـــيه وتعلم منه قبل البعثة.والرواية التي تبين التقاء الرســـول بورقة كان عن طريق خديجة وكان كلام ورقة للنبي محدداً بأنه النبي المنتظر ولم يثبت ولم يُنقل إلينا أنه لقن النبي مواعظ ، كل ما ذكره أنـــه سيؤذى وسيخرجه قومه من مكة.وهذه المعلومات كان قد عرفها عن طريق بشارات الأنبياء في التوراة والإنجيل بالنبي ﷺ .

بقى احتمال آخر ، وهو أن يكون النبي ﷺ تعلم القرآن من مجموعة من العبيد النصارى الذين كانوا يسكنون مكة كالحداد النصراني الذي اتهم أهـــل مكة النبي بالتلقي عنه أو بعض الزنوج الأحباش الذين كانوا يبيعون النبيذ بمكة .

= صور استشراقية للدكتور عبد الجليل شلبي ص (٧٠ – ٧٢) وانظر سيكولوجية القصة في القرآن ص (١٢) .

إن المستشرقين " يتركوننا في غموض وإبهام ولا يقدمون لنا وثيقة واحدة عن علاقات فعلية للرسول لهذا النوع من الذين يمكن أن يتلقى الرسول ﷺ عنهم القرآن " [١] .

وإذا لم يقدم المستشرقون أي وثيقة تثبت ذلك ، فإننا ننفي نفياً قاطعاً تعلم الرسول القرآن من أحد ، لأن شواغله ما بين الرعي والتجارة تمنعه من الجلوس لأحد والتلقي عنه .

أما زعمهم أنه تلقى القرآن من مصدر خارجي من خلال رحلاته التجارية وأسفاره فإن أشهر رواية في هذا الزعم ادعاؤهم أنه التقى ببحيرا الراهب ... **ونحن نناقش هذا الزعم في مستويين :**

المستوى الأول : مدى صحة هذه الروايات ومدى موافقتها للصواب .

وكما يقول الدكتور " دراز " الصواب يمنعنا من الأخذ بهذه المقابلة العارضة واعتبارها مصدرا لتعليم محمد ، لأن هذه القصة إما أنها أسطورية أو أنه يتعين علينا أخذ كل الوقائع التي نذكرها في الحسبان " [٢] .

وقد رجح أحد المستشرقين الاحتمال الأول إذ يقول : " لا تسمح النصوص العربية التي عُثر عليها ونُشرت وبُحثت منذ ذلك الوقت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا مجرد قصة من نسج

---

[١] مدخل إلى القرآن ص (١٣٤)

[٢] نفس المرجع السابق ص (١٣٤)

الخيال " (١) .

وقد أورد الأب " جورج قنواتي " ما يفيد ذلك ، يقول عن أسطورة بحـــيرا " أســطورة مســيحية نشأت في حضن جماعة فارسية وقد كتبت بالســريانية ثــم نقلــت إلـــى العربية وكان لها انتشار واسع في الأوساط المسيحية في القرون الوسطى " (٢) .

المستوى الثاني : وعلى فرض صحة هذه المقابلة فإن بطلان القول بتعلم النبي من بحيرا ظاهر من عدة وجوه :

الأول : أن مقابلـــة بحيرا مع الرسول ﷺ لم تكن على انفراد وإنما كانت مع كل أفراد القبيلة ، فهل هذا الجو يسمح بالتعلم أساساً ، فضلاً عن تعليم على مستوى يعجز البشر الإتيان بمثله ؟

الثانـــي : فليبين لنا المستشرقون ما الذي أخذه محمد بالضبط حتى نقف عليه ، إن المنهج العلمي الذي يسيرون عليه يفرض عليهم أن يقدموا الدلـــيل علـــى دعواهم وليس عند أحد منهم أثارة من علم في هذا ولو كان عندهم فليخرجوه لنا إن كانوا صادقين .

الثالـــث : أن هـــذه المقابلة في حد ذاتها تنفي أن يعلم بحيرا محمداً لأن بحيرا بشر بالنبي ﷺ وليس من المعقول أن يؤمن الراهب بهذه البشارة

---

(١) مقال هوارت بالجريدة الآسيوية عدد يوليو أغسطس ١٩٠٤ بعنوان مصدر جديد للقرآن نقلاً عن الدكتور دراز ص (١٣٤) .

(٢) المسيحية والحضارة العربية . وقد حاول الباحث في لقاء مع الأب قنواتي الحصول على معلومات عن هذه المخطوطة لتحقيقها ولكنه صرفني عن البحث في هذه المخطوطة وانتقل بالحديث إلى موضوع آخر بعيداً عن البحث العلمي .

ثم يقف معلماً للنبي الذي ينتظره ، وهو يعلم أن هذا النبي سيتلقى عن الله ثم لو كان هذا الراهب هو الذي علم محمدا لكان هو الأولى بالنبوة والرسالة .

الـــرابع : لـــو صح أن الرسول ﷺ تلقى من بحيرا لاستفاض ذلك ولعـــرفه أهل مكة ولسارعوا باتهام النبي بالتعلم من هذا الراهب بدلاً من الحداد الرومي الذي نسبوا إليه زوراً أنه يعلم الرسول القرآن [١] .

هذا عن أصل الشبهة بوجه عام .

أما التفصيلات فهي تتمثل في الآتي :

١ – أن فكرة الوحدانية استقاها محمد من البيئة العربية .

وفـــي الحقيقة يخلط " جب " المستشرق الإنجليزي وغيره بين فكرتين عند العرب :

الفكرة الأولى : هي وجود الله وتلك كانت حقيقة مسلمة بالفعل عند أهل الجزيرة العربية .

الفكرة الثانية : هي فكرة الوحدانية وهذه الفكرة هي التي كان يدور الجدال حولها وما كفر منْ كَفَرَ وما قُتِلَ مَنْ قُتِلْ من المشركين إلا بسببها .

ويأتـــي العرب – ويكذبهم في هذا القرآن الكريم في كثير جداً من الآيـــات،لأن الوحدانـــية التـــي نادى بها الرسول ﷺ – هي التي وقف أهل مكة في وجه الرسول ﷺ من أجلها ﴿ أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشئ

---

(١) انظر مدخل إلى القرآن ص (١٣٤ ، ١٣٥) ومناهل العرفان للزرقاني (٢ / ٤٢٢) الطبعة الثالثة ، دار الفكر .

عجـــاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشئ يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق ﴾ [١] .

والذي لم يسمع عنه أهل مكة من قبل النبي ﷺ يعتبره المستشرقون ذائعـــاً ومعروفاً ، بل ومسلماً له . وما يفعله المستشرقون قائم على التخبط والاضطراب ما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون

أما ادعاؤهم أن هناك تشابهاً بين قصص الأنبياء في القرآن والعهد القديم فزعمهم هذا باطل لعدة أسباب :

الأول : أنهـــم إذا قالوا عرف قصص الأنبياء السابقين عن طريق المشـــافهة فقد أبطلنا هذا الفرض من جميع وجوهه ، إن كان في الجزيرة العربية أو في خارجها .

الثانـــي : أن الرسول ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، ثم إنه لم تكن ترجمة عربية للكتاب المقدس.وهنالك حدث مؤكد فيما يتصل بالعهد الجديد وهـــو أنه حتى القرن الرابع الهجري لم تكن قد وضعت ترجمة عربية مما اضـــطر الإمـــام الغزالي أن يلجأ إلى مخطوط قبطي ليكتب كتاباً في الرد علـــى مـــن ادعى ألوهية المسيح بصريح الإنجيل . وإذا كان القرن الرابع الهجـــري لا توجد فيه ترجمة عربية للعهد الجديد فمن باب أولى ألا توجد تـــرجمة للعهد القديم لكي يتعلم منها النبي ، ثم إن القرآن تحدى اليهود أن يظهروا التوراة فلم يفعلوا ، وهذا يدل على عدم وجودها زمن النبي ﷺ .

---

[١] سورة ص الآية (٥ : ٧) .

يقول تعالى ﴿ **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين** ﴾ [١] .

الثالث : أن الله ﷻ كان يعقب على كل قصة يذكرها النبي ﷺ أن هذه القصة لم يكن يعلمها النبي ﷺ ولا أحد من قومه ، ففي قصة مريم جاء قول الله تعالى ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون** ﴾ [٢] .

وبعد قصة سيدنا يوسف ﷺ جاء قوله تعالى ﴿ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون** ﴾ [٣] .

أما ادعاؤهم أن الرسول ﷺ أخذ فكرة البعث والجزاء من جنة ونار عن اليهود والنصارى فهذا من أعجب العجب ، وكما يقال إذا لم تستح فافعل ما شئت .. هاهو العهد القديم والعهد الجديد أمامنا بطبعاته الأجنبية أو بترجماته العربية .

أين ما في العهد القديم من نصوص حول البعث حتى يأخذها الرسول ﷺ منه ؟

إن الأسفار الخمسة تخلو عن أي إشارة عن البعث والجزاء اللهم إلا من نص واحد مختلف حوله هل المقصود به الجزاء في الدنيا أو في الآخرة ؟

---

(١) سورة آل عمران الآية (٩٣) وانظر الظاهرة القرآنية ص (٢٥٢ ـ ٢٥٤) مالك بن نبي .

(٢) سورة آل عمران الآية (٤٤) .

(٣) سورة يوسف الآية (١٠٢) ، وانظر سورة هود الآية (٤٩) وسورة القصص الآية (٣٣ : ٤٦) .

هذا النص هو :

" ألـيس مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم " [١] وقد اختلف حوله [٢] .

ونحن لا نسلم بخلو التوراة من البعث والجزاء لأنه لا يمكن لكتاب مـن عـند الله مـنزل وليس فيه الحديث عن الآخرة ، ولكن نقول لهؤلاء المستشرقين إن العهد القديم أمامكم فأخرجوا منه النصوص التي تدل على البعـث والجزاء ، بل إن اليهود أنفسهم يعترفون بذلك ، ولا أدري لماذا لم يتنبه اليهودي المجري "جولد تسهير" لذلك ؟

أمـا العهـد الجديـد فهو موجود أيضاً ، فليُخرج لنا المستشرقون أوصـاف الجـنة التي زعم محررو دائرة المعارف الإسلامية أن الرسول تأثـر بالنصـارى فـي أوصافها ، هاهو أحد النصارى يصرح بأن العهد الجديـد " لـم يقـل إلا قليلاً لإشباع رغبة حب الاستطلاع والوقوف على وصف تفصيلي مسهب للعالم الآخر " [٣] .

إن الأمـر عند المستشرقين ليس أمر تأثير ولكن التعصب الأعمى هو الذي يجعلهم يرفضون نبوة محمد ﷺ ويسلمون بنبوة موسى وعيسى إن كانوا من النصارى أو بنبوة موسى إن كان من اليهود ، إن ما يقومون به

---

[١] سفر التثنية ٣٢ ـ ٣٤ : ٣٥ .

[٢] انظر السنن القويم في تفسير العهد القديم (٢ / ٥٠) الناشر مجمع كنائس الشرق الأدنى سنة ١٩٧٣ . وانظر التوراة السامرية سفر تثنية الاشتراع ٣٤ : ٣٨ ص ٣٩٢ ، ٣٩٣ .

[٣] أديان العالم . حبيب سعد ص (٢٤٨) ، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية .

مـــن رفضـــهم وطعنهم في نبوة الرسول ﷺ لا يتناسب مع العقل والمنطق والبحث العلمي .

يقـــول الدكـــتور البهـــي : " إن الأمر الذي يجب أن ينكره البحث العلمـــي بهذا التحديد فهو أن يناقش نوع من الوحي ويتشكك فيه باسم العلم ثـــم يصـــان نوع آخر منه على أنه بديهي التسليم وبعيد عن مجال الجدل العقلي النظري أو العلمي التجريبي " (١) .

وهـــذا مـــا يفعلـــه المستشرقون ، يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بـــبعض والوحي كل لا يتجزأ ، فإذا ما آمن الإنسان بمبدأ الوحي فإن ذلك يجب أن يشمل كل الوحي لا فرق بين وحي ووحي آخر .

(١) الفكر الإسلامي الحديث ص (٢٢٠) .

الفهرست

تابع الفهرست

تعريف بالمؤلف

{ ١ } ولد في دقادوس مركز ميت غمر دقهلية في١٣ /٥ /١٩٥٩.

{ ٢ } تلقى تعليمه في الأزهر الشريف منذ السنة الأولى الابتدائية حتى حصل على الإجازة العالية " **الليسانس** " من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا مع مرتبة الشرف عام ١٩٨١م ثم الماجستير والدكتوراة .

{ ٣ } صدر قرار تكليفه معيداً **بالكلية في** ١٧ / ٩ / ١٩٨١م .

{ ٤ } حصل على التخصص " **الماجستير**" في العقيدة والفلسفة في ٣٠ / ٦ / ١٩٨٧م بتقدير ممتاز وكان موضوع الرسالة (اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام) **تحت إشراف الأستاذ الدكتور/ يحيى هاشم حسن فرغل .**

{ ٥ } صدر قرار تعيينه مدرساً **مساعداً في** قسم العقيدة والفلسفة **في** ١٩ / ٨ / ١٩٨٧م .

{ ٦ } حصل على العالمية " **الدكتوراة** " في العقيدة والفلسفة مع مرتبة الشرف الأولى في ٥ / ٨ / ١٩٩٠م وكان موضوع الرسالة : (موقف القرآن الكريم من الفكر المادي) **تحت إشراف الأستاذ الدكتور / عبد الله يوسف الشاذلي** رئيس قسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا .

{ ٧ } صـــدر قـــرار تعييـــنه مدرساً في قسم العقيدة والفلسفة في ٣ / ١٠ / ١٩٩٠م .

{ ٨ } أعـــير إلـــى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية أستاذاً مشـــاركاً فـــي كلـــية أصول الدين قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، من ٢٦ / ١٠ / ١٩٩٣م إلى ١٨ / ٨ / ١٩٩٩م .

{ ٩ } اختـــير في فترة إعارته واحداً من عشرة أساتذة حققوا سبق الإنجاز والجدية في البحث العلمي والإرشاد الطلابي في كلية أصول الدين بالرياض .

{ ١٠ } رُقـــي إلى درجة أستاذ مساعد في قسم العقيدة والفلسفة في ٤ / ١ / ١٩٩٥م .

{ ١١ } سافر إلى كل من سوريا، وتركيا لزيارة المكتبات وتصوير بعض المخطوطات وزيارة كلية الإلهيات بمرمرة باستانبول .

{ ١٢ } رُقـــي إلـــى درجـــة أســـتاذ في قسم العقيدة والفلسفة في ٨ / ١١ / ٢٠٠٠م .

{ ١٣ } يقوم بخطبة الجمعة في مساجد وزارة الأوقاف والجمعيات الأهلية ويقوم بالتدريس للأئمة والخطباء ومعاهد إعداد الدعاة .

المؤلفات العلمية :

[١] اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام . طُبع طبعة ثالثة عام ٢٠٠٢م .

[٢] موقف القرآن الكريم من الفكر المادي . رسالة دكتوراة ، لم تنشر . مكتبة أصول الدين بطنطا .

[٣] النزعة الإلحادية في النظريات العلمية . بحث نُشر في حولية أصول الدين عام ١٩٩١م .

[٤] الاختراق اليهودي للمجتمعات الإسلامية نشأته وتطوره . طبعة ثانية عام ٢٠٠٠م .

[٥] التصور اليهودي للمسيح وعلاقته بالتقارب المسيحي اليهودي المعاصر . طبعة ثانية عام ٢٠٠١م .

[٦] نقض دعوى عالمية النصرانية . بحث نشر في حولية أصول الدين عام ١٩٩٧م .

[٧] عالم الملائكة . دراسة عقدية . طبعة ثانية عام ٢٠٠٢م .

[٨] الديمقراطية رؤية إسلامية . بحث مقدم إلى المؤتمر الثامن للندوة العالمية للشباب الإسلامي في عمان الأردن عام ١٩٩٨م ، وقد نشر في بحوث المؤتمر .

[٩] العَلْمَانِيَّة النسبة – الدلالة – الدوافع . بحث نُشر في حولية أصول الدين عام ١٩٩٩م .

[١٠] نشـــأة الديـــن والتدين بين التوحيد والتطور . طبعة ثانية ٢٠٠٢م .

[١١] العقائد الدينية عند الأمم الوثنية . عام ٢٠٠٠م .

[١٢] العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية ٢٠٠٠م .

[١٣] العقـــيدة الـــيهودية بين الوحي الإلهي والتحريف البشري ٢٠٠١م .

[١٤] أهل الكتاب وموقفهم من نبي الإسلام ٢٠٠٣م .

[١٥] الاستنســـاخ . بحث مقدم إلى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة بقسم العقيدة والفلسفة عام ٢٠٠٠م .

[١٦] بحث عن المادية . منشور في الموسوعة الوسيطة للمذاهب المعاصرة والفرق . دار أشبيليا بالرياض .

[١٧] بحـــث عـــن المذهب التجريبي . في الموسوعة الوسيطة للمذاهب المعاصرة والفرق . دار أشبيليا بالرياض .

[١٨] مناهج البحث العلمي وآداب الحوار والمناظرة ٢٠٠١م .

[١٩] بحث عن التنصير وفلسفته ، الموسوعة الوسيطة للمذاهب المعاصرة .